**5:نشأة الأسلوبية:**

تعود النشأة الأولى لعلم الأسلوب أو الأسلوبيةكما يرى **الدكتور صلاح فضل** إلى، العالم الفرنسي "جوستاف كوبرتنج"عام1886م، في قوله :«**إن علم الأسلوب الفرنسي ميدان شبه مهجور تماما حتى الآن[...]فوضعوا الرسائل يقتصرون على تصنيف وقائع الأسلوب التي تلفت أنظارهم طبقا للمناهج التقليدية[...]لكن الهدف الحقيقي لهذا النوع من البحث ينبغي أن يكون أصالة هذا التعبير الأسلوبي أوذاك،وخصائص العمل أو المؤلف التي تكشف عن أوضاعهما الأسلوبية في الأدب،كما تكشف بنفس الطريقة عن التأثير الذي مارسته هذه الأوضاع[...]ولشد ما نرغب في أن تشغل هذه البحوث أيضا بتأثير بعض العصور والأجناس على الأسلوب[...]وبالعلاقات الداخلية لأسلوب بعض الفترات بالفن وبشكل أسلوب الثقافة عموما**.»(3)

أما **الدكتور رابح بوحوش** في كتابه"**الأسلوبيات وتحليل الخطاب**" فيرى أن مصطلح الأسلوبية قد ظهر على يد "**فون دير قابلنتز**"سنة**1875م**؛ أي قبل سنة **1886م**، وهي نظرية في الأسلوب ترتكز على مقولة "**بوفون**"الشهيرة:«**الأسلوب هو الرجل نفسه**» وتنطلق من فكرة العدول عن المعيار اللغوي، وموضوعها دراسة

الأسلوب من خلال الإنزياحات اللغوية والبلاغية في الصناعة الادبية،([[1]](#footnote-2)) وتعتبر هذه المعالم بمثابة اللبنات الأولى المبشرة بميلاد علم جديد هو "**الأسلوبية**" التي تأرجحت بين الآراء والنظريات والتصورات، لتصل في نهاية المطاف إلى مرحلة التجسيد والتطبيق في شكل هياكل ومدارس نقدية فاعلة على مستوى البحث النقدي الحديث تهدف في مجملها إلى تحقيق نظرية أسلوبية عامة تساهم بدورها في إغناء نظرية الأدب بمقولات نقدية موضوعية وغير متحولة.

وحسب رأي "**رابح بوحوش**" فإن العالم الفرنسي "**جوستاف كوبر تنج**" هو من يبشر سنة **1887م** بميلاد علم يبحث في الأسلوب من خلال انتباهه إلى فكرة الأسلوب الفرنسي المهجور في تلك الفترة(2)،إذ تبين له أن واضعي الرسائل الجامعية يقتصرون على وضع تصنيف وقائع الأسلوب التي تلفت أنظارهم طبقا للمناهج التقليدية.(3)

وهو بهذا يذهب إلى أن الهدف الحقيقي لهذا النوع من البحوث من الأحسن أن يتوجه للبحث في أصالة التعبير الأسلوبي، أو خصائص النتاج الأدبي، أو المؤلف، التي تكشف عن أوضاعها الأسلوبية في الصناعة الأدبية، وتكشف بالطريقة نفسها عن التأثير الذي مارسته هذه الأوضاع.(4)

في هذه الفترة بالذات وفي هذه الظروف لم تتضح بعد معالم وملامح الأسلوبية، وظلت على هذا الحال بين مد وجزر، حتى تبلورت الأفكار اللسانية لدى العالم السويسري "**فيرديناند ديسوسير**"**Ferdinand De** **Saussure"** (5) في كتابه الشهير«**محاضرات في اللسانيات العامة**» الذي كان له الفضل في إرساء قواعد الأسلوبية بفضل الأفكار التي طرحها في كتابه، لكن الفضل الأكبر يعود إلى تلميذه "**شارل بالي**" **" Charles** **Bally"**(6).

خصوصا عندما نشر كتاب «محاضرات في اللسانيات العامة» بعد وفاة أستاذه "سوسير" بثلاث سنوات؛لأنه بعد أن شرب فكر أستاذه الذي كان أستاذا صاحب نظرية ومنهج...ابتكر الأسلوبيات التعبيرية.([[2]](#footnote-3))

وما يمكن أن نستخلصه هو أن مصطلح "الأسلوبية "أو علم الأسلوب كترجمة للمصطلح الغربي stylistique ظهرخلال القرن التاسع عشر؛ غير أن مفهومها لم يتحدد إلا في مطلع القرن العشرين، مع مؤسسها اللغوي السويسري شارل بالي Charles Bally ،خاصة عندما نشر في سنة(1902)كتابه «بحث في الأسلوبية الفرنسية» ثم أتبعه بكتاب آخر هو «الوجيز في الأسلوبية»(2)،كما أن الأسلوبية تعدّ فرعا من اللسانيات غير أن هدف الدرس فيهما يختلف؛ ذلك أن اللسانيات تهتم باللغة في عمومها وفي نمطها العادي مما يستخدمه المتكلمون منطوقا في التواصل اليومي ، أما الأسلوبية فتدرس الخصائص الفردية في الكلام وهذا بأن تتولى الإجابة عن الكيفية  التي يقول بها الأديب اللغة؛ أي دراسة النموذج الخاص الذي تصاغ فيه اللغة وتُوظّف ، وبهذا تكون الأسلوبية وصفية تقييمية تحاول الإلتزام بالموضوعية منطلقة من تحليل الظواهر اللغوية والبلاغية للنص.

وهكذا خرجت الأسلوبية إلى حيز الوجود بعد مجهودات جبارة، ترى ما تعريف الأسلوبية؟ وهل كانت لها اتجاهات تُسند إليها؟

لقد تعددت تعريفات الأسلوبية وخضعت إلى منظورات مختلفة،فهي«**علم التعبير ونقد للأساليب الفردية,كما أنها وصف للنص الأدبي حسب طرائق مستقاة من اللسانيات**».(3)

أمامؤسس الأسلوبية**"شارل بالي"** فإنه يحدد الأسلوبية أو علم الأسلوب على أنه :«**العلم الذي يدرس العناصر المنظمة للغة من وجهة نظر محتواها التعبيري والتأثيري**».(4)كما يرى أن مهمتها تكمن في تتبع بصمات الشحن في الخطاب، وبهذا صنّف الخطاب إلى نوعين:

* منه ماهو حامل لذاته وغير مشحون بالعواطف.
* ومنه ماهو حامل للعواطف والانفعالات،والأسلوبية تُعنى بالجانب العاطفي في الخطاب،فتستقصي الكثافة الشعورية التي يشحن بها المتكلم خطابه.(5)
* والأسلوبية حسب**"دولاس"** تُعرّف بأنها منهج لساني،أما في حقل السيميوطيقا اللغوية تعززت صياغة مصطلح الأسلوبية بوصفها تحليلا لوسائل تعبير اللغة،أو تحليلا للأساليب الفردية.([[3]](#footnote-4))فهي كمجال دراسي متكامل يختص بالنص دون غيره،كما أنها تربط بين مفهوم الأدبية والبُعد اللساني؛أي أنها تحمل في مجالها التصور الأدبي ذو البُعد الجمالي الحدسي أو لنقل البلاغي، ومفهوم الأدبية الذي يحدد طابعها الأدبي متجسدا في كل الظواهر الأدبية من حيث التعبير والتأثير،(2)كما تعتبر الأسلوبية تطورا للفكر الشكلاني، وتقتصر أهميتها على أنها احدى الأدوات التي يمكن أن يستخدمها النقاد والدارسون في الحكم على الأعمال الأدبية،(3)كما أن الأسلوبية ليست منهجا نقديا يستهدف البلاغة القديمة ويلغيها،ويُحل محلها بلاغة جديدة تقوم على الجمالية والوظيفية،بل هي وسيلة نقوم من خلالها بتحليل النصوص الأدبية .(4)
* ويعرف **"جاكبسون"** الأسلوبية في قوله:«**إنها بحث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أولاً،وعن سائر أصناف الفنون الإنسانية ثانيًا**.»(5)
* أما**"ميشال إرفي"** فيرى:«**إن الأسلوبية وصف للنص الأدبي حسب طرائق مستقاة من اللسانيات**.»(6)
* أما**"ريفاتير"** فإنه يرى أن الأسلوبية:« **علم يهدف إلى الكشف عن العناصر المميزة التي بها يستطيع المؤلف الباث مراقبة حرية الإدراك لدى القارئ المتقبل،والتي بها أيضا يستطيع أن يفرض على المتقبل وجهة نظره في الفهم والإدراك،فينتهي إلى اعتبار الأسلوبية لسانيات تعنى بظاهرة عمل الذهن على فهم معين وإدراك مخصوص**.»(7)
* ومن كل هذا نستنتج أنه كما اختلف علماء الأسلوب في الاستقرار على تعريف محدد للأسلوب اختلفوا أيضا في تحديد الأسلوبية.(8)

ثم انتقلت عدوى التجديد،وفكرة بعث القديم إلى العقل العربي،فنشطت محاولات متعددة الاتجاهات،ونشط معها البحث في الأسلوب،والبلاغة القديمة،ويبدو أن أصداء هذه التيارات،وتأثيرها قد بدأ بمحاولتين رائدتين-عندنا نحن العرب- أما الأولى فتعود إلى سنة**1939م**،عندما أصدر"**أحمد الشايب**"كتابه الرائع"الأسلوب"(**دراسة بلاغية تحليلة لأصول الأساليب الأدبية**)([[4]](#footnote-5))، أما المحاولة الثانية فتعود إلى سنة**1947م** عندما أصدر" **أمين الخولي**" كتابه(**فن القول**).(2)

وبعد هذه المحاولات لنقل التيارات الفكرية الغربية إلى العربية، يبشر "**عبد السلام المسدي**" بمولوده الجديد سنة**1977م**(**الأسلوبية والاسلوب-نحو بديل ألسني في نقد الأدب**)،ثم بعد ذلك يصدر "**عدنان بن ذريل**"سنة**1980م** كتابا بعنوان:(**اللغة والأسلوب**)، وفي نفس السنة؛أي**1980م** يصدر "**سعد مصلوح**"كتابه :(**الأسلوب-دراسة لغوية إحصائية**).

وفي سنة**1981م** يخرج إلى حيز الوجود كتاب في الدراسات الأسلوبية التطبيقية لــ"**محمد الهادي طرابلسي**" وقد كان بعنوان :(**خصائص الأسلوب في الشوقيات**).

ثم تتفاعل التيارات النقدية الأسلوبية بين الاهتمامات النظرية والتطبيق، لتساهم في سنة**1984م** في ميلاد مجموعة هائلة من المؤلفات من أبرزها:

* (**البلاغة والأسلوبية**): "**لمحمد عبد المطلب**".
* (**علم الأسلوب -مبادئه وإجراءاته-**):"**لصلاح فضل**".  
  ثم تتواص الدراسات والمؤلفات وتتعزز بمحاولتين رائدتين لمحمد شكري عياد في سنة**1985**م هما:
* (**اتجاهات البحث الأسلوبي**) :"**لمحمد شكري عياد**".
* (**اللغة والإبداع-مباديئ الأسلوب العربي**):لــ"**محمد شكري عياد**".

وفي سنة**1989م** يطل علينا "**مصطفى ناصف**" بكتابه :(**اللغة بين البلاغة والأسلوبية**).

وفي سنة**1990م** يؤلف"**فايز الداية**" مجموعة من الأبحاث جمعها في كتاب:(**جماليات الأسلوب -الصورة الفنية في الأدب العربي**).

ثم بعد ذلك في سنة **1992م** تأتي محاولة "**سعد مصلوح**"لتعيد النظر في إشكالية النص والمتلقي ،في كتاب عنوانه:(**الأسلوب –دراسة لغوية إحصائية**).

وبعد هذه الإطلالة السريعة للانجازات العربية في الدراسات الأسلوبية،رغم اختلافها في منهج التحليل وطرائقه وإجراءاته والمستويات التي تقف عليها في النصوص.كما تختلف من حيث اقتصار بعضها على تحليل نص محدد وتناول بعضها لمجموعة من النصوص لدى شاعر واحد،وبعضها لظاهرة أسلوبية في نص شعري أو مجموعة من النصوص.([[5]](#footnote-6))نحاول أن نتطرق إلى اتجاهات الأسلوبية.

1. بوحوش رابح:الأسلوبيات وتحليل الخطاب ، ص12.

   نفس المرجع:ص13.

   فضل صلاح:علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ،ص16.

   بوحوش رابح:الأسلوبيات وتحليل الخطاب ، ص13.

   1. سويسري درس في حنيف ثم في ليبزغ ثم استقر بباريس ودرس النحو المقارن ثم عاد إلى جنيف ودرس اللغة السنسكريتية ثم الألسنية عاش بين (1857-1913)م،(ينظر:المسدي:الأسلوب والأسلوبية، ص195.)

   هو ألسني سويسري ولد بجنيف ومات بها تتلمذ على سوسير وبرع في الألسنية وعكف على دراسة الأسلوب فأرسى قواعد الأسلوبية في العصر الحديث ،عاش بين( 1865-1947) ،ومن مؤلفاته (مصنف الأسلوبية الفرنسية)، ( ينظر:المسدي:الأسلوب والأسلوبية، ص 188.) [↑](#footnote-ref-2)
2. بوحوش رابح:الأسلوبيات وتحليل الخطاب ، ص13.

   بيير جيرو :الأسلوبية ،ترجمة:منذر عياشي،مركز الانماء الحضاري،ط2، 1994،ص54.

   العرابي لخضر:المدارس النقدية المعاصرة ،ص 232.

   حسن بوحسون:الأسلوبية والنص الأدبي، مجلة الموقف الأدبي ، مجلة أدبية شهرية تصدر عنة اتحاد الكتاب العرب ،العدد368،تشرين الأول 2002 ، دمشق ،سوريا، ص1.

   نفس المرجع:ص1. [↑](#footnote-ref-3)
3. ناظم حسن :البنى الأسلوبية دراسة في «أنشودة المطر»للسياب ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء،المغرب ،ط1 ،2002، ص25.

   بلخير عقاب: نسقية المصطلح وبدائله المعرفية دراسة نقدية ، دار الأوطان ،الجزائر،ط1، 2011، ص25.

   عوض نور يوسف: نظرية النقد الأدبي الحديث، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر، ط1، 1994، ص18.

   العرابي لخضر:المدارس النقدية المعاصرة ، ص 233.

   نفس المرجع:ص235.

   المسدي عبد السلام:الأسلوبية والأسلوب ، ص41.

   نفس المرجع: ص 42.

   علاق فاتح: في تحليل الخطاب الشعري، دار التنوير، الجزائر، ط2، 2008، ص80. [↑](#footnote-ref-4)
4. بوحوش رابح:الأسلوبيات وتحليل الخطاب ، ص20.

   نفس المرجع:ص21.

   ينظرنفس المرجع: ص22-23-24-25-26. [↑](#footnote-ref-5)
5. علاق فاتح:في تحليل الخطاب الشعري ، ص81.

   بن ذريل عدنان :اللغة والأسلوب –دراسة-، ص134.

   السد نور الدين:الأسلوبيات وتحليل الخطاب،ج1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،ط1، 1997 ، ص55. [↑](#footnote-ref-6)